عـن الـذات واللغـة والكتـابـــة

مارسولان بلييني

آفاق الجديدة :

تقوم « تيل كيل Tel Quel » منذ نشأتها بانتاج حـديث سديـد الخصوصيه ، اذا ما قورن بما تذيعه الحركـات الادبيـة اليمينيـة منهـا واليسارية في فرنسا . حديث مناهض للتحريفية يعانق فكر وتجربة الصين الحديثة ، وفي نفس الوقت يتمسك بالتحليل النفسي ويقوم بقراءة جديدة للادب الفرنسي (آرطو ـ لوترايمون ...) مع بلورة تجربة خاصة في الكتابـة ـ الرواية والشعر ـ ومنهج جديد في التحليل ، لهذا أود منك أن تتحدث عن أساس هذا الحديث ...

مارسـلان بلينـي :

ان احدى القضايا الاساسية هي فشل الماركسية ، كقاعدة لعمل يجب للقيام به ، وكاشكالية في البلدان التي تدعى الاشتراكية ، وتحول الاشتراكية الى اشتراكية ـ فاشية (I) (معسكرات الاعتقال الخ ...)

ان السؤال الذي يجب طرحه على المثقفين هو : كيف أمكن حدوث ذلك كيف صار ممكنا ؟ كيف يمكن تحليله ؟ وكيف بمكن تفادى حدوث ذلك من جـديـد ؟

لقد حددت المجلة منذ البداية مفهوما يعرف جيدا نوع وأهميـة هـذه المسالة الدوغمائية ـ التحريفية ـ أي فكرة كون التحريفية والفاشية حليفتان تسيران يدا في يد .

ويبدو لنا ، في كل الاحوال ، أن الماركسية ، كما هي منتشرة ومذاعة الآن في العالم الغربي ، هي ماركسية ميتة . اذن فالمسالة المطروحة هي معرفة كيفية تفادي السقوط من جديد في حديث ماركسي منمـط ومتكـرر ؟ مثـل : الستالينية وما انتجته ؟ وتطرح اليوم مسالة أخرى تبدو أكثر تقدما وهـي تلك التي يطرحها **(لويس التوسير)** أي مسالة الـ **سيرورة بدون ذات**

ويبدو لنا أن التشويهات ، والمسوخ ، والمصائب ، التي حدثت للماركسية مشروطة بالطريقة التي اقصت بها الماركسيولوجية مسالة الذات من ضمن

اشكالاتها ، يعني ، اذا أردت، أن احدى المشاكل التي يجب أن تبحث من خلال هذا المنظور ، هي مشكلة العلاقة بين ماركس وهيغل ، والطريقة التي فصلوا بها الماركسية عن الجدلية الهيغلية .

... ان التناقضات التي نمت داخل الحزب البلشفي نفسه والمعارضات التي لقيها لينين ، انتجت شيئا فشيئا هذه الشيخوخة التي أصابت الماركسية. وهذا الموضوع بالضبط هو الذي بحثه شارل بيتلهايم في كتابه « **صراع الطبقات في الاتحاد السوفييتي** 1917 ـ 1923 » (2)

في رأينا أن مسألة الذات قد محتها وطمستها الماركسيولوجية لذلك يبدو لنا اليوم وجوب تنسيقها . ان هناك علما عاصر هذا النمو ، يستطيع أفضل من أي علم آخر ، أن يعالج هذه المسألة : هو الفرويدية . وانطلاقا من هنا ، سيمكن ـ حسب وجهة نظرنا ـ مواجهة هذا الذي يوجد في الماركسية ، والذي استطاع انتاج الاوضاع التاريخية التي نعيشها اليوم . وليست هذه المسألة جديدة كل الجدة ، اذ سبق أن عولجت في الثلاثينات من طرف **ويلهلم رايش** (وهنا نطالب أيضا بقراءة كتاب **سيكولوجية المازوخية الفاشية**) (3) .

في هذا الاطار تمتاز كل أعمال **رايش** بدلالة لها أهميتها القصوى اذ تعالج في الواقع المشكلة الملحة التي ينشغل بها البال جدا . أي معرفة **لماذا ؟ وكيف ؟** يمكن ان توجد جماهير ثورية وجماهير فاشية ؟ هذا النوع من المعالجة ، وطرح القضايا يمكن من التعرض من جديد / ومن تحليل مجال تاريخي بأكمله، وهو ما لا يمكن أن نحيله بسهولة وببساطة على التاريخ ، مقررين أنها مسألة يمكن أن نعود اليها أكثر ، وهو ما يمس ، في الوقت نفسه ، القضية التي تهمنا في نهاية المطاف **جميعا** .

لماذا النازية ؟ سؤال يشبه سؤال : لماذا الستالينية ؟ يبدو أنه ، باقصاء وتصفية **الذات** من النظرية الماركسية ، نحد أنفسنا ليس فقط قد وقعت تصفيتنا ، وانما محاصرين داخل قرون من الحياة ، والتاريخ . أي العلاقة التي ربطها الناس بينهم وبين الدين عبر التطور التاريخي . وهكذا سيكون السؤال الذي يجب أن يطرح على الماركسية ، وحتى على ماركس نفسه ، هو أخيرا ، كيف أن قضية الدين لم تعالج في سببيتها الداخلية ؟ (4) أظن أن الشيء الذي يسائل كل دين هو العلاقة التي يربطها الانسان بالدين . لا يكفي أن نعلن أننا لا نؤمن بالله لكي نكون حقيقة لا نؤمن به . لان هذا النوع من التصريح يستتبع استبدالنا له بشيء آخر . أي أننا نضع ـ من الناحية الاجتماعية ـ شيئا آخر مكانه ، وفي الم حل نفسه الذي ننفي فيه ما هو معاش حقيقة . وعموما يكون هذا الذي نضعه مكانه سلطة عينية واقعية ، نسلم لها بما لا نرغب في معرفته محملين لها مسؤولية قمع كل ما يمكن أن يجلب معه **معرفة** . ان سألة الدين والعلاقة به هي الباب المفتوح لكل أنواع القمع والعنصرية والفاشية .

اذا أردت ، فان مسألة **الذات** ، وبالكيفية التي يمكن للفرويدية أن تعالجها بها ، تفتح لنا ـ حسب ما يبدو لي ـ مسألة **اللغة** التي نرى جيدا كيف انها معطلة لا **توظف** كمسألة لغة ، في ماركسيولوجية بأكملها ، بل حتى في الاحاديث السياسية التي تدعى الماركسية . وفي مجال هذه الاحاديث ، لدينا مثال على سالبية مسألة اللغة ، ألا وهو الحديث الذي لا يتوجه لدى كل واحد، لمخاطبة لغة حية تمكن أي شخص من التوفر على معرفة ، وانما يخاطب فقط **لغة ميتة تفرغ كل حديث من المعرفة التي يحملها** . انه لا يتوجه أساسا ـ الا الى معتقد غير عقلي ولا منطقي .

ويمكننا أن نستدل ونكشف عبر التاريخ ـ والبنيات سواء منها الديناصورية أو الدوغمائية ، وفي الكيفية التي حوصر توسجنت بها الذات داخل هذه البنيات ـ عن الفترات والاماكن التي توصلت فيها (الذات) ، عن طريق قفزات مفاجئة تقريبا ، الى البروز وقول حقيقة عصرها بلغة ثورية دائما . والجلي أن الامكنة التي ستظهر فيها الذات بهذه الكيفية هي الاماكن التي ستكون أقل تعرضا للحراسة ، وأن الآثار والبقايا الاكثر وضوحا والتي يمكن العثور عليها فيها توجد في الادب . وفي هذا الاطار يجب أن تكون العلاقة الواقعية التي تربط بين أعظم التحولات في اللغة وفي المجتمع محط تفكير منهجي قدر المستطاع .

الثقافة الجديدة :

هل يمكن أن نضبطوا لنا علاقات التحولات التي حدثت على صعيد الكتابة بالتحولات والثورات المعرفية الكبرى أعني الماركسية الفرويدية ، والصوسيرية ، والى أي حد كانت التحولات في أنماط الكتابة مسايرة لهذه الاخيرة ؟ وفي نفس مستوى حدتها ؟

م. بلينـي :

لا يمكن أن تحدث احدى تلك التحولات دون الاخرى . وما يبرر نمو العلوم وتطورها انما هو كمونات اللغة وامكاناتها وليس العكس ، رغم أن الاثنين يكونان مترابطين دائما . لقد رافق تلك التطورات العلمية تغيرات وانقلابات حدثت ، في نفس الوقت ، على صعيد أشكال اللغة نفسها ، وقام بها كل من **لوتريامون** و **ملارميه** ، و **آرطو** ، وفي فترة متأخرة **جويس** . والذي يبرر الفرويدية ، وحتى الصوسيرية هو بحوث صوسير عن الاناغرامات (5) فهي نصوص تمنح لهذه العلوم كل راديكاليتها ، والتي بدونها تكون حبرا على ورق أو علوما ميتة . وهكذا نرى أن الحديث **Discours** عن اللغويات لا يظهر من الفرويدية ومن اللغويات سوى بعدها العلمي ، وفي فترة معينة . فمن جهة هناك استغلال محض ، يستغل المعرفة . ومن الجهة الاخرى هناك الممارسة تنميها ضمن فروقات يندر قياسها في الفترات التي يعاد خلالها انتاجها وحدوثها وهذا لا يعني أن الحديث عن اللغويات لا منفعة من ورائه وانما فقط كونه **مجزءا**

الثقافة الجديدة :

من ضمن المفاهيم التي تطرحونها كأساس نظري لممارستكم الكتابية، مفهوم « تجربة الكتابة » (الذي يثير بعض القضايا التي لا يستهان بها) فما هو تحديدكم لهذا المفهوم ؟

م. بليني :

نطلق تجربة الكتابة عما تقوم به الذات من تجريب على امكانات وكمونات لغتها . أي أن التجربة هي ـ كما هو الحال ، الى حد ما ، بالنسبة للعلوم ـ ما تمنحه اللغة من لا نهائية في الامكانيات ، وما يحمل معرفة عصرها ويعالجها ويعطيها راديكالية تميزها .

تعترضنا هنا معضلة لغوية ، تتمثل في مشكل تعريف ما يمكن أن نسميه بـ « **اللغة الشعرية** » اذ معظم اللغويين يعتبرونها شذوذا ، أي أنهم ينظرون اليها من خلال ما يعرفونه (بالتشديد) كمعيار للغة ، مما يجعلها تظهر بالنسبة لهذه المعايير منحرفة وتزيينية . انها نظرة شكلية ضيقة الى اللغة لا يمكن أن تؤدي ـ في نظري ـ مهمتها بفعالية الا في مجال اللغات الميتة . الواقع أن اللغة الحية لغة تنمو ، ولا تكف أبدا عن خلق أشكال جديدة . لكن أين نعثر على هذه الاشكال الجديدة ـ أي مظاهر حياة هذه اللغة نفسها ـ ؟ انما توجد في اللغة الشعرية ، واللغة الشعبية وفي حياة العاميات ، واللهجات الاقليمية واخاصة ، والدوارج . أعتقد أن اللغة الشعرية ليست شذوذا أو ديكورا ، ولكنها ميدان للعمل منفتح دائما ، ميدان الكمونات والامكانات اللانهائية للغة .

الثقافة الجديدة :

تعرضت طرق التحليل الادبي الى سيطرة انساق فلسفية وعلمية جعلته ـ في الغالب ـ تابعا يضحى بخصوصية النص ونوعيته ، « وجوهره » من اجل البرهنة على فعاليتها ، أو التأكيد على صحة النظرية وصحة المفاهيم التي اقترضها من ميدان آخر ، فكيف يجب أن نحلل النص حتى نفهم حقيقته ودون جعله مجال تطبيق فقط ؟ ...

م. بليني :

نعم يجب التفريق بين عدة أساليب ومناهج ممكنة فيما يسمى بالتحليل الادبي . اعتقد أنه في صالحنا ـ اذا أردنا التعرض لنص أدبي ـ أن يتوفر لدينا أكبر قدر ممكن من المعلومات حوله ، لكن المشكل الذي يبقى مطروحا هو مشكل خصوصية ونوعية لغة النص الادبي الذي ننطرق اليه . وهو ما يشبه، اذا أردت ، ـ الى حد ما ـ الكيفية التي تعالج بها الفرويدية تحليل الاحلام . ويعني هذا في نظري أنه لا يمكن أن نستعمل بشكل آلي نفس المفاهيم لتحليل نصوص مختلفة ومتباينة . النص يبوح بمعرفته ، والمعرفة لا تغطي النص أو تجلله . وعوض أن يكون لدينا تحليل اختزالي يحيل الادب الى معرفة ، فان لنا تحليلا منتجا لمعرفة الادب . والجلي ، أن الكتابة ، بالنسبة للنص

العصري خاصة ، حية ونشيطة ولاسيما في الاشكال التي تبتدعها ، فالمفهوم يبرز التحول عن طريق خصوصية الاشكال التي تستعملها . وهنا بالضبط يتعقد تحليـل لنـص .

أما الهدف فيتمثل في ابراز راديكالية المعرفة التي يحملها النص .

الثقافة الجديدة :

في اطار مناهضة عملية الاحتواء التي تقوم بها « الآليات » الايديولوجية الرجعية والامبريالية تطرح مشكلة التمييز بين نص ثوري حقيقي ونص ثوري مزيف . لان هناك نصوصا لا تكف أبدا عن التصريح بثوريتها ، وعن تملق عواطف الجماهير، مستعملة ـ الى حد ما ـ نفس أساليب النص الثوري الحقيقي، في حين أن غرضها الحقيقي ، هو ضرب من تدعي خدمته ، وغالبا ما يمر زمن طويل قبل اكتشاف حقيقة اللعبة ، ولا ينأتى ذلك الا عن طريق حجـة ليست من داخل النص وانما من خارجه (موقف منتج النص أو سلوكـه في ظـروف حاسمة) ، فكيف يمكن أن نحل هذا المشكل بطرق نقدية أو تحليلية أدبية تستخرج الحقيقة من النص نفسه .

م. بليني :

ذلك يكمن في الفرق بين المدلول والشكل الذي يتخذه هذا المدلول ، الذي يؤخذ في اطار لغة حية تصيره عصريا وحديثا ، وتعطيه ثقله الواقعي ، والا فانه يكون ثرثرة وكلاما فارغا في لغة ميتة ثابتة وغير زمنية ، والتي لا هدف لها في الاساس سوى نفيه وانكاره . وليس هناك ما هو أكثر مناهضة ومعاداة للماركسيه من نص دوغمائي بصرح ويدعى الماركسية ، لان ما يتكلم عنه قد فات ومات مثلا كل الشعر التصريحي الماركسي (أرغون) .

الكل يكمن في تغيير اللغة وتطويرها . هل اللغة تغني وتخصب ما تقوله أم أنها تكتفي راضية بالتكرار . واذا ما كانت تصير ما تقوله منتجا (بكسر التاء) أم أنها فقط تعيد ببساطة ما سبق انتاجه . واذا قررنا أن للانسان لا شعورا ـ ذاك الذي يسميه جاك لاكان **J.Lacan** بالاشعور المبنين كلغة ـ فان الثوري هو ما سيؤثر ويعمل في هذا الاشعور ، وهو مـا سيحطم الاشكـال المختفية ـ واذا أردنا أن نحقق قلنا « كلمة العقل وعلاقتها باللاشعور » يمكن مثلا للهفوة أن تقول كل ما لا يريد أن يقوله الشخص أو العقل ، والعكس كذلك صحيح .

كيف يمكن استعمال مضمرات اللغة وامكاناتها وتحولاتها من أجل احداث تأثيرات وانفصامات لا شعورية لدى القارىء ، والتي يمكنها احداث ثورة في أنماط التفكير العتيقة ؟ يستطيع سهم اللغة غير التقليدية أن يمس ما لا تمسه اللغة التقليدية . يجب على اللغة أن تكون لدينا انطباعا مثل ذلك يتولد فينا عندما نعتلي كرسيا ثم ندرك أننا على وشك فقدان التوازن أو أننا سنفقده حتما . فانطلاقا من هذا الوضع يمكن لنا أن نشرع في تقديم اشكال تفكير غير

منمطة ولا مكررة ، لان هذه الاشكال مرتبطة بمجازفة أو خطر يتهددنا .

الثقافة الجديدة :

أود العودة الى أعمال التوسير ـ بسبب الاهمية المعطاة لاعماله في فرنسا ومحيطها (تبنى بعض المثقفين في العالم الثالث لاطروحاته) ـ يريد التوسير قراءة ماركس انطلاقا من النظريات العلمية المعاصرة الشيء الذي يجعل اعماله تطرح في نظر البعض مشكلة علاقتها بالبنيوية واقتراضها لبض مفاهيمها ـ بوصفها طريقة سائدة اليوم ـ في حين يشدد اخرون هجومهم على « القطيعة » وعلى استبداله هيغل باسبينوزا وذلك عند معالجته لآثار ماركس ،

فما هي المشاكل الحقيقية التي تطرحها أعمال التوسير في نظرك ؟

م. بليني :

كانت البنيوية « مصطلحا » صحفيا استعمل ـ خارج الميدان اللساني الضيق ـ لتعريف أعمال وبحوث لا تخضع لتعريفات متوافق عليها آنذاك . ان جوهر النقاش ينحصر في محاولة فهم أي نوع من الاستعمال يستعمل كل باحث ـ وصف بالبنوية ـ لمفهوم البنية . يوجد هذا المفهوم لدى « ليفي ستروس » بشكل ثانوي ـ وعند « بارث » ، وأصداء لدى « جاك لاكان **J.Lacan** » ، بل حتى عند « لويس التوسير » ومنشأ سوء التفاهم ـ حسب ما أرى ـ هو استعمال مصطلح جيء به من علم آخر هو علم اللغة . اعتقد أن كل هذا يعبر عن أشكال سوء التفاهم التي يمكن أن يثيرها استعمال مفهوم « البنية » ، ويعبر أخيرا عن الاهمية ـ التي أولاها الباحثون العاملون في ميادين مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض ـ لمشكل اللغة . وبالنسبة لبارث مثلا فمن الجلي أن كتابا كـ « لذة النص » (6) لا يمكن أن يختزل الى معالجة بنيوية محضة فقط . أما التوسير ، فانه نفسه ، قد تراجع في كتاب أخير بسبب الانتقادات والمآخذ التي وجهت اليه ، والمتمثلة في اعتماده ـ عرضا ـ على نظريات بنيوية . ان المشكل الذي يجب أن يطرح بصدد أعمال التوسير أكثر جدية ، وأكثر عمقا .

لقد ظهرت أعمال التوسر والبحوث التي قام بها عن ماركس (7) ، في لغة وبلد معينين ، وفي حزب شيوعي تحريفي لم يسبق أن كان له قطعا أي منظر ماركسي . وعلى هذا الاساس كان من الضروري والحتمي أن تحوز على مثل الاهمية المعطاة اليها . فالاعور ملك في بلد العميان ، لكن المسألة الحقيقية التي تثيرها أعمال « التوسير » ليست مسألة علاقتها بالبنيوية ، وانما علاقتها بالجدل أي كيف قسم آثار ماركس بين مرحلة الشباب (مخطوطات 1844) وماركس رأس المال ؟ وكيف قام بتنظيرها . ويبدو لي أن هذا التقسيم وتنظير القطيعة المترتبة عنه ليس فقط اعتباطيا ولكنه خاطيء . ويكمن الخطأ في استبعاده للاهمية الاساسية لهيغل من أعمال ماركس ، وفي انتاجه للمفهوم الالتوسيري الشهير « سيرورة دون ذات » ويمثل هذا المفهوم ـ في نظرنا ـ

الطريق الممهد لابشع أنواع المبالغات النظرية الدوغمائية . أن جوهر النقاش ليس مشكلا علميا ضيقا ولكنه مشكل فلسفي . فالقطيعة « المشهورة » تفصم موضوعيا بين ماركس والتاريخ الذي انتجه يعني أنها بشكل أو باخر مبتافيزيقية .

... يضع التوسير في آثار ماركس ، سبينوز محل هيغل ، الذي يمكن أن يثير كل هذا هو مشكل معرفة اذا ما كان من الممكن أن تكون هناك سيرورة بدون فعالية الذات . أي أن تطرح على أعمال التوسير مسألة العلاقات التي يمكن أن تربط بينها وبين الفرويدية . لقد بدأ التوسير يقتبس من الفرويدية بعض المفاهيم دون أن يبرر أبدا هذه الاقتراضات . مشكلة الفرويدية ـ في نظري ـ أساسية .

الثقافة الجديدة :

كمبدع ـ شاعر وباحث ـ ما هي المشكلة المطروحة عليك والتي تحس ان تطور وفعالية انتاجاتك وممارستك لا تتحقق بدون حلها ؟

م. بليني :

ان المسألة المطروحة علي والتي أرى أنها ملحة وعاجلة هي أن أبلور وجهة نظر مكتملة بقدر الامكان ، حول الماضي وحتى الماضي القريب نسبيا ، وهي وجهة نظر يجب تكريسها للمشاركة وتحمل المسؤولية فيما يحدث الآن ، وفي الحاضر الاكثر قربا ومباشرة . وهكذا يمكن أن نتكلم بداهة عن بارث أو عن التوسير ولكنهم أشخاص كتبوا أعمالهم وانتهى أمرهم. لقد عملوا في ظرف وسياق تاريخي شاركوا دون شك في تحويله ، ولكنه سياق تاريخي انتهو ، فضلا على أنه مغاير تماما لظروفنا ، وليس هو سياقنا اذ لم تبق المشكلة ـ كما كان في السابق ـ مشكلة الاحقاد والصراعات الوطنية ، وانما تطورت الى صراعات وتحالفات دولية . ولنا على ذلك مثال صحفي ولكنه جد واضح : ما يحدث الآن من التقاء وتحالف بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في الفضاء ، انها ظاهرة كان من المستحيل التفكير فيها بعد الحرب العالمية الثانية . ثم مسألة ثانية : دخول الصين الشعبية الى المسرح الدولي .

أجرى الحوار : محمد البكري

باريس ـ صيف 1975

هـوامـش

(1) يعني البلدان الاشتراكية التي سادت فيها التحريفية .

(2) نشر دار لوسوي وماسبرو 1974 ـ انظر الدراسة التي كتبها ج. لـويس هودبيـن

J.L. Houdebine في العدد 38 من مجلة Promesse والاسئلة التي طرحها على المؤلف ومناقشة كل من ليتهارت R. Linhart ومحمود حسين له ص. 15 ـ 76 .

(3) نشر دار Payot (ترجمة)

(4) حضر ج. لويس هودبين جزءا من هذه المقابلة ، لاسيما الجانب الفلسفي ، وقد أبدى موافقته على ما كان يطرحه بلييني وعضد رأي زميله في هذه النقطة بالذات بقوله ان مساله الدين هي غرفة ماركس السوداء

(5) نشر جزءا منها جان سطار وبانسكي في كتابة « كلمات تحت الكلمات » عند غاليمار 1971

(6) لـوسـوي R. Barthes : Le Plaisir du texte le Seuil, 1973.

(7) من أعمال التوسير :

Pour Marx, Maspero
Lire le Capital I et II, Maspero.

وكل ما نشره في سلسلة « Théorie » عند ماسبرو

(8) لمارسلان بلييني أربع مجموعات شعرية اهمها STANZE (لوسوي) وله مؤلفات نقدية وبحوث منها :

Lautréamon Le Seuil
Art et poétique - Collection « Tel Quel » 1977
L'enseignement de la peinture - Le Seuil

وهو في نفس الوقت سكرتير تحرير ومدير مجلة «تيل كيل»

مجلـة الـدارسـات العربيـة الاسلامية
لوحدة التعليم والبحث في لغات الهند والشرق
وافريقيـا الشمـاليـة

سكرتير التحرير : عبد الرحمان أيـوب

توجه المراسلات والكتب والمنشورات والمقالات الى :

CAHIERS D'ETUDES ARABES ET ISLAMIQUES
13, rue de Santeuil - Paris 5e - France